

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

ملحق ثقافي اسبوعي يصدر عن جريدة المدى

منارات
manarat

WWW.almadasupplements.com

العدد (4536) السنة السابعة عشرة - الأربعاء (30) تشرين الأول 2019

ريجيس دوبريه

50 عاماً على "ثورة في الثورة"

ريجيس دوبريه: بحثاً عن ماركسية خالية من الأوهام

سعد محمد رحيم

كاتب راحل

منطقة الداخلي، وهو منطوق لا ينطوي على قيم أخلاقية. فالأسمالية "بربرية تعريفاً، وينبغي أن تناضل ضد هذه البربرية في العقب، إذا كنا نؤمن بذلك". غير أنه يعود ويتساءل إن كان هناك بديل عن السوق؟ وعلى حد تعبيره "فقد يكون التطور الذي سيطر أ خلال هذا القرن هو البرهان على أن هذا البديل لا وجود له".

تكتسي أفكار دوبريه، في كتاباته المتأخرة، شأنه شأن كثير من الماركسيين السابقين، بمسحة من التشاؤم حتى أنه يؤشر نقطة خلاف له، يجدها أساسية، مع الماركسية، وتفاؤلية مرضية، وعمياء، وبلغت من الخطورة بحيث أنها لم تر الضوابط البنوية للكائن الجمعي، والطابع المتجدد لتوالد العنف، والطابع البيئي الذي لا يمكن تجاوزه. إذ قد يسبب التفاؤل أحياناً من الشرور ما قد لا يتناسب مع بعض من التشاؤم.

في خضم حوضه حرب العصابات في أحرش بوليفيا، وقضائه سنوات بين جدران أربعة في السجن، أعاد دوبريه التفكير بالمسلمات النظرية لتي كان يؤمن بها. عندئذ اكتشف، كما يعترف، جانباً مهماً، وكاملاً، من الواقع أغفله الماركسية، فبدا ليست السياسة هي الاقتصاد مركزاً، بحسب مزاعم لينين. فتمتص نصاب مستقل للسياسي، في مقابل "أن السلوك السياسي للمتحدثات البشرية لا يتبدل منه التغييرات التي تطرأ على نمط الإنتاج الاقتصادي". فساداً نستخلص من هذا؟.. يقول: "بالإمكان الاستدلال من ذلك على لاوعي سياسي قاسٍ، ليست الأديان والإيديولوجيات سوى أعراضه المتولدة. هذا اللاوعي السياسي يستمد من بنية خاصة بكل مجتمع بشري أيضاً كان هذا المجتمع، وأسمي هذا اللاوعي السياسي بالاكتمال على غرار قضية غودل Godel) في علم الرياضيات) فما من مجموعة تبلغ تمامها بالعناصر المنضمّة فيها فقط. ما يعني أن هناك دائماً ما يمكن وصفه بالأعقلاني في داخل كل مجتمع بشري".

يضع دوبريه إلى جانب التاريخ التقني لعلاقات الإنسان بالأشياء، وهو تاريخ ديناميكي، تراكمي ومفتوح (مطلماً يدعوها)، التاريخ الديني لعلاقات الإنسان بالإنسان وهو (تاريخ) استعادي وقابل للبرمجة. وإن فلا يحصل تقدم تقني، برأيه، إلا على الصعيد التقني، ولكن ليس بالضرورة على الصعيد السياسي. وهذا خلاصة وروح ما يقوله في كتابه (نقد العقل السياسي).

هنا يتحدث عن البربرية والماركسية يهدفهما وجها وهم واحدو (الوهم الاقتصادي). حيث يغدو "ماركس وأدم سميث وريكاردو... تنويعات على فرضية واحدة وهي فرضية خاطئة من وجهة نظره.. فيستدرك قائلاً: "إن ما يصنعه ماركس في خاتمة البنية الفوقية إنما ينتمي إلى البنية التحتية للنمو الاجتماعي. فالدين.. ليس البشرية، حتى المعلمة منها". وما يشده هو تقويض النزعة الاقتصادية، وإعطاء العوامل الأخرى حصتها في التغيير الاجتماعي.. ويستدرك قائلاً: "إن موازين الهيمنة ليست فقط ذات طبيعة اقتصادية، بل أصبحت رمزية أكثر فأكثر، ومتخيلة وثقافية. لذلك زالت أتبني وأقعية ماركس الخالية من الأوهام".

× (كي لا نستسلم) ريجيس دوبريه وجان زيغلر... ترجمة: رينيه الحايك وبسام حجار... المركز الثقافي العربي... الدار البيضاء... بيروت/ ط1/ 1995.

هذا المقال سبق أن نشر في الذي عام 2011

يعني أن الأسس المادية لهذه الحركة ما عادت موجودة". إن بنية العالم الاجتماعية والطبقية والسياسية تتحوّل وتتغير، والصورة التي ألفناها للعلاقات الاجتماعية والاقتصادية بين الطبقات وبين الشعوب قبل عقود قليلة أصبحت شيئاً من الذاكرة. فالجنوب، كما يقول "يتبتل (من بروليتاريا) والشمال يتبرجس (من البرجوازية)، وأن البروليتاريا في الشمال تستبدل، شيئاً فشيئاً، بأعداد المهاجرين من الجنوب". والآلة باتت تحل محل العامل البشري، والكومبيوتر بات يستعيز عن الذهن البشري في حل أعقد المسائل. ولهذا بحسب دوبريه: "ما عادت الماركسية صالحة لوصف مجتمعنا الغربي".

يعقب جان زيغلر على أطروحة دوبريه بتأكيد على أن الفرضية الأساسية التي تقوم عليها النظرية الماركسية برمقتها (تلك علم الاقتصاد السياسي الكلاسيكي لسمث وريكاردو ومالثوس) هي الندرة الموضوعية: أي أن موارد الأرض لا تكفي لتلبية حاجات سكانها المتزايدين. وهذه الندرة مثلما يخبرنا زيغلر ليست موجودة اليوم، وبالتالي فالفرضية الأساسية للماركسية لم تعد قائمة. لكنه يعد ويقر بوجود ندرة اجتماعية يولدها نظام قائل للعالم، ماثلة على نحو مخفٍ. وقد بنت الماركسية الجزء المهم من نظريتها على هذه الندرة الاجتماعية التي هي معطى طبيعي لنظام اقتصادي اجتماعي جائر هو النظام الرأسمالي.

وإذا كان دوبريه ينكر شعار (يا عمال العالم اتحدوا) ويعتبتها بأممية الكراهة الماركسية الكبيرة فإنه يقر أن نضاله إنما ينصب لكي لا يتحول هذا الكوكب إلى سوبر ماركس، وأن تكون هناك جزر صغيرة كالدولة والثقافة والتعليم، خارج قانون العرض والطلب، وخارج قانون الموسر الأكبر". فالنظام الرأسمالي يتبع

ذلك فقد تخلّيت عن الماركسية منذ عام 1968". وبعد ربع قرن من هذا التاريخ، وبعد أن سقطت التجارب الاشتراكية، وساد منطوق العولة واتخذ تاريخ العالم مساراً لم يكن في الحسبان وجد نفسه إزاء واقع مغاير تقصر الماركسية التقليدية، كما يعتقد، عن فهمه وتفسير تحولاته. فالعالم يتوحد على وفق اعتبارات ومقتضيات عقلانية السوق لكنه يتخلى عن أن تكون له هوية جمعية موحدة؛ "إن العالم يزداد تشرذماً بازدياد وتأثر توحيده". وأن المجتمعات تتكفي إلى الإحتماء بهوياتها ما قبل الدولتية بالتوازي مع تطور وسائل الاتصال والإعلام، وتحول العالم إلى قرية صغيرة جامعة. فهي إذن عولة ذات طابع أحادي خادع. مدركاً أن هذا الحيز الذي يزعم أنه يشمل الكرة الأرضية بأسرها، هو أميركي في الجوهر والأساس؛ وذلك يُعْمَق على الكرة الأرضية نمط الحياة والفكر الأميركي الشمالي. فهي إذن عولة زائفة لا تبادل فيها ولا تعامل بالمثل. هذا ما يخلص إليه دوبريه في قراءته لصورة العالم المعاصر، حيث تطغى قوانين السوق الرأسمالية على العالم سالية المجتمعات هوياتها، والتي تنزع في رد فعل مفاجئ إلى الركون إلي هوياتها المحلية والغائرة في عمق ماضيها، وحيث أن تحديث البنى الاقتصادية يحمي سلفية الذهنيات، ومثل هذا الأمر لم يكن في وارد البرتايم الذي وضعه ماركس أو أدم سميث.

لم يعد العالم الذي حكى عنه ماركس وانقده بضرارة موجوداً.. لم تعد هناك أمميات الحركات العمالية التي ولدها الثورة الصناعية في القرن التاسع عشر.. يقول دوبريه: "ربما ما عادت الأمميات موجودة لأن الحركة العمالية ما عادت موجودة، وإذا كانت الحركات العمالية ما عادت موجودة، ونحن هنا ندلي بدلو ماركسي، فلذلك

ثمة مفكر آخر ينتمي إلى تلك الكوكبة الالامعة من المفكرين الماركسيين الذين تتلمذوا على كتابات غرامشي ولوكاش وتشربوا تقاليد الثقافة الفرنسية في الآن نفسه، هو ريجيس دوبريه، ودوبريه شغل الأوساط الفكرية والنضالية في الوقت الذي كان لثورات العالم الثالث بريقها وجاذبيتها، يوم ذهب إلى أميركا اللاتينية، وهو في العشرينيات من عمره، وانضم إلى الحركة المسلحة التي كان يقودها جيفارا في بداية الستينيات من القرن الماضي، وهناك كتب عدداً من الكتاب لينظر لتلك الثورة وينتقد بعض جوانب تكتيكاتها واستراتيجيتها منها (ثورة في الثورة)، وقد ألقى القبض عليه وأودع السجن في بوليفيا بضع سنوات قبل أن يطلق سراحه بضغط دولي. وفي السجن كتب مذكراته (مذكرات برجوازي صغير). ومن ثم ألف رواية يحكي فيها جوانب من مشاركته في الثورة هناك (غير المرغوب فيه). قبل أن يعود إلى فرنسا ويتفرغ للعمل الفكري والثقافي. وبلا شك أثرت تلك التجربة في شخصيته وفكره وإنتاجه اللاحق، لاسيما في كتابه (نقد العقل السياسي).. يقول في حوارته مع جان زيغلر: "أميركا اللاتينية التي أتحدث عنها هي في العمق المكان الذي اكتشفت فيه أسلوباً آخر للعيش اليومي، معنى ما للاحتفال، والهجنة والانفعالية المفرطة والسخاء الذي لا يوصف. لكن خيبة أمه في الثورة، وما أضفت إليه التجارب الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية من فشل وبيروقراطية ومصاهرة للحريات، فضلاً عن إعادة قراءته وتقويمه للفكر الماركسي قاده إلى التصلب من ماركسيته؛ يقول: "أحفظ من الماركسية نزعها العقلانية، فأنا عقلاني حتى في مقاربتني للظاهرة الدينية... أما سوى



أوس حسن

مذكرات برجوازي صغير.. من وهم الأيديولوجيا إلى وعي الذات بالحرية

هذه التجليات المضيئة للروح الصوفية عند دوبريه تظهر في العزلة بقوة ووضوح شديد، ففي جوانب كثيرة نراه يتكلم بحكمة العارف الزاهد عن أمور شتى في الحياة كالحب والجنس والسياسة والدين. هذا الإرث من مذكرات السجن يجب أن يحظى بمزيد من الإهتمام والدراسة؛ لأنه جزء من دراما الحياة

ومن تراث الأدب الفلسفي الذي سيبقى خالداً في الفكر الإنساني. عن السعادة واللحظات الحقيقية يتكلم دوبريه: «إن ما يسمى حقيقياً بالنسبة لغيره هو هذه الحقبة من حياته المتطابقة مع الفكرة التي كونها عن الحياة حين يحس حياته ترتفع وتتساوى ذات لحظة مع جوهره الحميمي. إن لحظة السعادة أو الحقيقة هي اللحظة الفارقة التي نستطيع أن نمارس ملكاتنا الحيوية التي نضحي من أجلها بحياتنا المادية.»

إن استعادة براءتنا المفقودة تمنح أحياناً في ارتهاننا لزمن لم يعد موجوداً فعالم البساطة والنقاء قد انهار أمام توحش الرأسمالية، والأسئلة الأخلاقية الكبرى التي تعصف بعصرنا.. عصر العولة والثورة المعلوماتية. قراءتنا لرسائل ومذكرات المتقنين الأميين في السجون وتحت سطوة الجلاذ، تمكننا من الإمساك بالمعنى وبالحيات التي تتسلل هاربة منا في كل لحظة فالوعي الكامل بالحضور واليقظة الداخلية يواجهان شتى صنوف التعذيب والعبودية، ويقهران الموت والخوف المترسب في أعماق وعينا. بهذه الأسطر يختم ريجيس دوبريه مذكراته ورسالته في الحرية التي ستبقى محفورة في قلب العصور وعلى سر الاجيال القادمة: «إن العالم هو كوكبة من الخلايا الصغيرة منقفل عليها مع سجين خلف الباب الذي يموت في الليل والصمت، كوكبة من الحيوانات المظفأة التي تحتاج إلى إنعاش. وهناك دائماً في مكان ما من المعجم، في أعماق قلبك، كلمة ترقد بانتظار أن تطلق سراح سجين.



وهو محكوم بالعدم الكفاح والتضحية من أجل أن يحيا البشر بسعادة؛ رسالة تستحق العيش من أجلها، وهنا يكمن مفهوم البطل عنده لكن بلا ضجيج ولا عناوين ضخمة ولا القاب، وفي مواضع عديدة يدعو الإنسان إلى نكران الذات وتمزيق الأتعة الاجتماعية الزائفة التي تفرزها الهوية والعقائد والموروثات. لكن هذه الطوباوية الحاملة التي يتسم بها دوبريه لا تنفصل كثيراً عن يوتوبيا ماركس وانجلز في تحقيق الغردوس الموعود على هذه الأرض. بل يمكننا القول إنها رسائل وأفكار متممة لها، لكنها متلائمة مع متطلبات العصر ورؤاه الجديدة.

للقيمة، هكذا تكلم دوبريه في سجنه وهو يواجه صبراً مجهولاً، فهذه المقاطع وغيرها من مذكراته في زناينة كاميري في بوليفيا؛ ليست فقط تحطيماً للأوهام الماركسية والأيديولوجية وإنما إضاعة على العزلة التي يعيشها الإنسان بين أربعة جدران، يمكننا القول أن الكتاب مرآة سايكولوجية فيها من الدموع والألم والندم الشيء الكثير، وفيها أيضاً لحظات متوهجة بالأمل والتفاؤل بعالم جديد، فهي تارة تقرب من اللغة الشعرية في التوصيف والتجريد، وتارة تخاطب المثقفين والفنانين والشعراء بصدق واضح وحلم برؤية غد أجمل. فبدلاً من أن يكون السجن حافزاً لليأس وخيبة لرؤية العالم وجماله من خلال مخاطبة والإحباط والانتحار أصبح عند دوبريه نافذة خفية لرؤية العالم وجماله من خلال مخاطبة نفسه والأخر. فقد تناولت هذه المذكرات مواضيع عديدة في الأدب والفن والسينما وعلم النفس وهو الداعي إلى تحرير الفنون والأداب من السلطة ورقابتها، وخلق واقع مواز للواقع يحاكي الهم الإنساني على هذه الأرض. لذا لم تخل مذكراته من عين الناقد المتفحص والمثقف العميق، فهو يجري تشريحاً دقيقاً لروايات كبار الكتاب العالمين ويستنتق أفكارهم كدستوفيسكي والبير كامو وستاندال ومارسيل بروست وغيرهم، بل ويخلع الاقنعة الملونة عن بعض الأدباء ويكشف زيفهم أمام التحدي المصري الكبير الذي يواجهه الإنسان.

إن فكرة النضال عند دوبريه تختلف بعض الشيء عن الكلاسيكيات الماركسية واللينينية، نستطيع أن تبين تأثيره بأفكار وفلسفات أخرى كالعدمية وبعض الرؤى التنبؤية (رغم أنه أدان الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه بشدة واعتبره أحد الرواد الأيديولوجيين للفاشية). يرى صاحب كتاب «ثورة في الثورة» ومنظر علم الابدولوجيا أن الإنسان جزء من الطبيعة

في خضم هذه التحولات الكبرى والسريعة التي يعيشها العالم في زمن تسليع الحياة والإنسان وتحويله إلى آلة مبرمجة، لا بد لنا أن نجد فسحة جمالية نعود بها إلى نواتنا وربما لا نجد هذه الفسحة إلا في الأوقات العصيبة والمصيرية التي تمر بنا أو تهدد وجودنا كالعزلة القسرية أو المرض أو السجن، عندها يصبح الإمساك باللحظة الراهنة المعاشة إبداعاً وتجلياً روحياً خال من الأوهام التي يخلقها العقل الذي يشوه كثيراً من إدراكنا الحسية وعلاقتنا مع العالم الخارجي «فدريسول، بطل رواية الغريب للنجير كامو لم يعيش حياته الحقيقية كما ينبغي ولم يفهم ذاته فهما عميقاً إلا في الأيام الأخيرة في سجنه فكان يستمتع بأبسط الأشياء في زناينته ويتمأى معها، كخيوط الشمس التي تتسلل كل صباح من نافذته، ومراقبة النجوم والأضواء الالامعة في السماء. هذا التماهي مع العدم ونكران الذات هو من منحه تلك السعادة الغامضة والسحرية التي جعلته يرفض استئناف المحكمة مرة أخرى. كما نجد هذا واضحا ومتحققا في روايات دستوفيسكي وخصوصا تلك التي كانت لقراءه الضوء على العالم الداخلي للنفس البشرية واضطراباتها. قد يتساءل القارئ هنا مالفاائدة من العودة لقراءة كتاب من الأدب الماركسي في زمن موت الأيديولوجيات ونهاية التاريخ وصدام الحضارات؟ هل علمنا الأدب الماركسي أن نفكر بطريقة صحيحة وسوية فعلاً؟

هذا ما سيجبنا عليه ريجيس دوبريه الكاتب والمناضل والفرنسي الذي اعتقلته القوات البوليفية بعد مقتل تشويغفارا وحكمت عليه بالسجن لمدة عشرين عاماً ولكن انقلاباً حدث عام 1970 خفف عن دوبريه قيود الزناينة فسمح له بأن يقرأ ويكتب. فكان كتاب «مذكرات برجوازي صغير بين نارين وأربعة جدران» هو ثمرة أفكاره وتاملاته في السجن. «سيكون المرء قويا بالوهم في العشرين من عمره، وقوياً بزوال الوهم في الأربعين» يجب على المرء أن ينسى أن الزمن هو المقياس الوحيد



ريجيس دوبريه
WWW. almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير

مخبر

مدا

رئيس التحرير التنفيذي

علي حسين

سكرتير التحرير

رفعة عبد الرزاق

الايخارج الفني

خالد خضير



طبعت بمطابع مؤسسة المدى



للاعلام والثقافة والفنون

ريجيس دوبريه يعلن نهاية «مجتمع الفرجة»

إبراهيم الملا

بمشكلة التوالد التكنولوجي، لأن التقنية تتقدم عبر محو بصماتها، وكلما أحكمت قبضتها، كلما وارت نفسها بنفسها، فبمقدار ما يزداد تحكمتها في الأشياء بمقدار ما تنقص قدرتنا في التحكم ولو بذكاء في هذا التحكم نفسه.

وفي مسيرة تطور الصورة من الثبات إلى الحركة ثم إلى الصور ثلاثية الأبعاد وصولاً إلى الأنماط الحديثة المترجمة في الوسائط التفاعلية والحسية، التي تجعل المشاهد جزءاً متداخلاً في الصورة ذاتها، يسافر بنا الكتاب تاريخياً نحو الماضي البدائي والديني وصولاً إلى سحر السينما وجاذبية التلفزيون، حيث يصف السينما مثلاً إنها القبة اللامعة للمظهرية الاجتماعية، وأنه يمكن اعتبارها أداة للتحليل النفسي في القرن الحالي، بعد أن كان الفن التشكيلي هو التحليل النفسي للقرن التاسع عشر، مشيراً إلى أنه لو كان علينا عرض النسيج العقلي لعصرنا، للزمنا عرض فيلم لغريفييت وآخر لبرغمان وثالث لغودار، ومؤكداً أن القرون كما للأيام غروبها الضروي، حيث إن العنصر السينمائي غداً «شيئاً» ينتهي إلى الماضي، كما كان يحلو لهيجل أن يقول، مضيفاً: «بالرغم من أننا سنظل نرى أفلاماً رائعة لزمان طويل».

ويرى دوبريه أن التلفزيون بما يمتلكه من قدرة على البث المباشر أصبح أداة مثالية لدى المتحكين بالأصداغ والإبركات، وبالتالي أصبحوا هم أسياد التاريخ المباشر، وتصبح الشاشة هي مركز العالم، لأننا نكون جميعاً سواسية أمام الحدث المبحوث، ونعيش تعادلاً فضائياً وزمناً لا سابق له، بيد أن ثمة إنساناً واحداً هو الأكثر مساواة من الآخرين، إنه ذلك الذي يتم الحدث عبره، أي مرسله، فبطل نهاية هذا القرن هو المنادي الصداغ!

ويختم دوبريه تحليلاته الرائعة بالإشارة إلى إشرافنا في عصر الشاشة على نهاية «مجتمع الفرجة»، وإذا ما حدثت كارثة فإنها ستكون حاضرة، فبعد أن كنا أمام الصورة أصحنا داخلها، وأن الوقوف ضد المحرمات القديمة المتعلقة بالأصالة والأغاز والروح سيكون عبارة عن شعائرية لها أهميتها، بيد أن الأفق قد يكون مخيباً للأمال، ففي مجال الممارسة، خاصة اليوم، تكمن مساوئ الصورة الجديدة مقارنة مع القديمة في بقواين السوق، ورهيبنا بالصراع من أجل الخيال، لأنه صراع يعمل ضد مقولة: «كل شيء للصورة»، ولن نحافظ على حقنا في اللانهاشي من دون الحد من حقوق المرئي على أن يقوم لوحده بإضفاء طابع الوثوقية على كل خطاب آخر، «فبمقدار ما نرى أقل بمقدار ما تنتشط مخيلتنا أكثر» كما يقول جان جاك روسو.

عن الحوار المتعدن



الباطنية اللامرئية، وذلك عبر الشعر لغة الأغني، تصبح لغة كل الناس، وقانون الأقوى هو القاعدة المثلى..

مضيفاً: «إن عصر الشاشة حين يغدو مسيطراً أينما كنا، ستكون فضيلته الفساد، ومنطقه الامتثالية، وأفقه عدمية متكاملة، لذا فإن غريزة البقاء لدى الجنس البشري مثلها مثل الرغبة البسيطة في تقضي اللذة لدى الفرد أو الأمم، سنضطر إن عاجلاً أو آجلاً، إلى الحد من الامتيازات التي تحظى بها الصورة ولكي يتم إيقاف الإختناق والتاريخ المحايذ للاختراعات ومواجهتها واليأس، سيتم إيلاء الأهمية للفضاءات



ما زال كتاب «حياة الصورة وموتها»، للمفكر الفرنسي ريجيس دوبريه فاعلاً في تاصيل القيمة «الوسائطية» للصورة التشخيصية في مقابل المحتوى المفاهيمي والتجريدي للغة، وما زالت. نظرية دوبريه الدالة على خطورة أن يصبح كل شيء مرئياً، هي نظرية متحققة ويعف أحياناً في وسائل الإعلام المبحرة لصالح الأيديولوجيات التخريبية، القائمة على الإيهام والتزوير والمراوغة البصرية من أجل إثارة العاطفة الجمعية، وتحقيق مبتغيات ضالة وانتهازية للأرباب الكبار المتحكمن بهذه الوسائل الموجهة بدقة وحرفية، تماثل مهارة «القنص»، عند اصطياده لضحاياها.

يقول دوبريه في الكتاب: «حين يغدو كل شيء مرئياً، فلا شيء يغدو ذا قيمة، فتجاهل الاختلافات يتقوى مع اخزال الصالح في المرئي والمظهر، باعتباره مثالاً يحمّل في طياته جرثومة فتاكة تتمثل في التشابه، فتحظى كل الخلل المتميزة بعبانية

اجتماعية قوية، وما ينتج عن ذلك هو أن لغة الأغني، تصبح لغة كل الناس، وقانون الأقوى هو القاعدة المثلى..

مضيفاً: «إن عصر الشاشة حين يغدو مسيطراً أينما كنا، ستكون فضيلته الفساد، ومنطقه الامتثالية، وأفقه عدمية متكاملة، لذا فإن غريزة البقاء لدى الجنس البشري مثلها مثل الرغبة البسيطة في تقضي اللذة لدى الفرد أو الأمم، سنضطر إن عاجلاً أو آجلاً، إلى الحد من الامتيازات التي تحظى بها الصورة ولكي يتم إيقاف الإختناق والتاريخ المحايذ للاختراعات ومواجهتها واليأس، سيتم إيلاء الأهمية للفضاءات

من حفر قبرها.

ويسأل دوبريه أيضاً: لماذا يخضع المثقفون عندما يتقدم بهم العمر، لإغراء شاتوبريان، ويشرعون في الحديث عن التاريخ على غرار، بطريقة شعرية ومأساوية، بل وكأنه كابوس، وأن إنسانية الإنسان مهددة؟ يؤكد في معرض الإجابة، أن البشر هم، حالياً، يصد اختراع عالم هجين. ويوضح أنهم يمتلكون قدرة كبيرة على حل التناقضات، ويمكن أن تبرز عبر هذه القدرة، نهضة جديدة، وبالتالي ينبغي التحضير لها.

وإذا كانت سطوة وسائل الإعلام وهيمنتها كبيرة وتزداد، فإن دوبريه لا يجد أن الأسر سيكون أديماً ومستداماً. ويصل دوبريه، إلى القول إن البشر فقدوا كثيراً من حسّ جماعي، وهذا ربما يمثل نقلة باتجاه تأكيد الذات الفردية، وما يسميه دوبريه بالتهديد الممكن لعصر نهضة جديد، يصبح الإنسان فيه، محرّك التاريخ وموضوعه الأساسي.

عن جريدة البيان

والجيل الذي يقصده دوبريه، يعبر عنه وعن نفسه: «أردنا تقديم إجابات عن أسئلة لم تعد مطروحة. إننا أبناء مزعومون لثورة أكتوبر عام ١٩١٧ في روسيا، ويقام فكرة نهاية العالم.. ونحن الناجون من كارثة لم تقع. إننا نبدو في نهايتنا، وملامح وجهنا تدل على سوء ما نحن فيه...»

والدخول إلى مثل هذه السرايب التي توصف في مساهمات الكتاب المتنوعة، يبدو مثل زيارة مخزن تتكدس فيه عظام أولئك الذين كانوا حتى فترة غير بعيدة، رموز الحدائثة في فرنسا، وما أبعد منها في الفكر والثقافة العالميين. إنه «مدفن للحدائثة»، كما يكتب دوبريه عن أولئك الذين غادروا المشهد، ولكن أفكارهم لا تزال تحوم في الأجواء..

..أنهم جميعاً عرفوا «الانتظار». ومثل ذلك الأفق المفتوح على وصول شيء ما، أحدث الكثير من الأمال حيال المستقبل والرغبة في النضال من أجل تحقيق ذلك لكل منهم، عبر وسيلة التعبير التي اختارها. لكن تلك الأمال كانت ذات طابع تدميري في الواقع، وكانت الأحلام مجنونة.

تلك الأمال والأحلام، اتخذت بمجملها قناع الثورة التي جرى تقديمها أنها تبشر بغد أفضل وأجمل تحت أسماء وتوصيفات مختلفة. مثل تلك الحدائثة التي أرادوا لها أن يكونوا رموزها لم تعد موجودة، كما يشرح دوبريه. ويجسد القول إن حقيقتنا تشهد نهاية تلك الرؤية للتاريخ، التي كان شاتوبريان قد أسسها، وكان اندريه مالرو من حفر قبرها.

ويسأل دوبريه أيضاً: لماذا يخضع المثقفون عندما يتقدم بهم العمر، لإغراء شاتوبريان، ويشرعون في الحديث عن التاريخ على غرار، بطريقة شعرية ومأساوية، بل وكأنه كابوس، وأن إنسانية الإنسان مهددة؟ يؤكد في معرض الإجابة، أن البشر هم، حالياً، يصد اختراع عالم هجين. ويوضح أنهم يمتلكون قدرة كبيرة على حل التناقضات، ويمكن أن تبرز عبر هذه القدرة، نهضة جديدة، وبالتالي ينبغي التحضير لها.

وإذا كانت سطوة وسائل الإعلام وهيمنتها كبيرة وتزداد، فإن دوبريه لا يجد أن الأسر سيكون أديماً ومستداماً. ويصل دوبريه، إلى القول إن البشر فقدوا كثيراً من حسّ جماعي، وهذا ربما يمثل نقلة باتجاه تأكيد الذات الفردية، وما يسميه دوبريه بالتهديد الممكن لعصر نهضة جديد، يصبح الإنسان فيه، محرّك التاريخ وموضوعه الأساسي.

عن جريدة البيان

ريجيس دوبريه.. سيرة نضالية تحت الضوء

محمد مخلوف



فأكثر لوسائل الإعلام وتابعة لها، يعني أنها ستكون في المستقبل القريب، عاجزة حكماً باستمرار، أنه ليس فيلسوفاً، رغم أنه يحمل شهادة التأهيل العليا.

والدكتوراه في هذا الحقل. وفي كل الحالات، لا شك أنه أحد العلامات الفارقة في المشهد الثقافي، حالياً، إنه فيلسوف ومفكر ومؤرخ وأديب وروائي وكاتب مسرحي.. ويخضل جمع هذه التوصيفات كلها تحت عنوان «كاتب».

الإبداع كمشروع يشهد دوبريه على حقيقة حيوية في صلب موضوع تأثير وسائل الإعلام ودورها الحياتي والاجتماعي العام، فغادها، أنه ليس كون الأذهان قد غدت أسيرة أكثر

رجل متعدد المشارب الفكرية والاهتمامات، بحيث يصعب تعريفه بدقة، وهو يردد باستمرار، أنه ليس فيلسوفاً، رغم أنه يحمل شهادة التأهيل العليا.

والدكتوراه في هذا الحقل. وفي كل الحالات، لا شك أنه أحد العلامات الفارقة في المشهد الثقافي، حالياً، إنه فيلسوف ومفكر ومؤرخ وأديب وروائي وكاتب مسرحي.. ويخضل جمع هذه التوصيفات كلها تحت عنوان «كاتب».

الإبداع كمشروع يشهد دوبريه على حقيقة حيوية في صلب موضوع تأثير وسائل الإعلام ودورها الحياتي والاجتماعي العام، فغادها، أنه ليس كون الأذهان قد غدت أسيرة أكثر

في عام ١٩٦٠ حاز الشاب ابن العشرين عاماً على المرتبة الأولى في مسابقة الدخول إلى دار المعلمين العليا في باريس، أحد أهم المؤسسات الجامعية العلمية الفرنسية التي تخرّج منها كبار أدباء ومفكري فرنسا وليس أقلهم شهرة جان بول سارتر وريمون أرون. ذلك الشاب اسمه ريجيس دوبريه. وكان ابن أحد كبار المحامين في العاصمة الفرنسية، وأمّه كانت إحدى المقاومات المعروفة ضد الاحتلال النازي.

وفي عام ١٩٦٥ حاز ريجيس دوبريه على شهادة التأهيل العليا «أغريغاسيون» في الفلسفة. لكنه لم يمارس عندها مهنة التدريس أبداً، إذ سافر في السنة نفسها إلى كوبا، البلاد التي انتصرت فيها الثورة عام ١٩٥٩ بقيادة فيدل كاسترو. وتوجّه دوبريه بعدها إلى بوليفيا للاتحاق بتشي غيفارا.

وجسّد أطروحاته الثورية في كتابه الشهير الصادر عام ١٩٦٧ تحت عنوان «الثورة في الثورة».

محادثة مع اللبديني

وقع دوبريه في شهر أبريل من عام ١٩٦٧، في قبضة الحكومة البوليفية. وصدر بحقه حكم بالإعدام خفف إلى السجن لمدة ثلاثين سنة، بفضل حملة دولية لمساندته قادها الفيلسوف جان بول سارتر. وفي المحصلة، أمضى في السجن مدة أربع سنوات فقط.

وعند إطلاق سراحه توجّه إلى التشيلي للقاء رئيسها آنذاك، سلفادور اللبديني، ليخرج بعدها بكتابت تحت عنوان «محادثة مع اللبديني حول الأوضاع في التشيلي». وفي التشيلي التقى أيضاً بالشاعر الكبير بابلو نيرودا.

والأكيد هو أن علاقات ريجيس دوبريه مع كاسترو، ومع كوبا كاسترو، تغيرت كثيراً فيما بعد. وصدرت عنه آراء وتصريحات عديدة، فغادها أن نظام كاسترو في سنوات التسعينات من القرن الماضي، وما تلاها، لا علاقة له بكوبا الثورية في سنوات الستينات من القرن ذاته. وربما كان التغيير في مواقفه وراء ذلك العديد من الشائعات التي سرت حول أنه كان وراء كشف السلطات البوليفية، للمكان الذي كان يوجد فيه غيفارا.

تلك الشائعات سرت وتوسعت إلى درجة أن ابنة غيفارا، أليدا غيفارا، وجّهت في عام ١٩٩٦، اتهاماً حملت فيه دوبريه مسؤولية «جريمة» في القبض على أبيها في بوليفيا عام ١٩٦٧، أي قبل ثلاثين عاماً من توجبه مثل هذا الاتهام إليه.

.. ورجل السياسة

عاد ريجيس دوبريه إلى فرنسا عام ١٩٧٣. وتولى مهام ومناصب رسمية متنوعة، لكنه استقال من جميعها سنة ١٩٩٢.

وعلى الصعيد السياسي تأثر دوبريه بشخصيتين: فيدل كاسترو وفرانسوا ميتران. وبالمناسبة لتوجهه في الحقل السياسي، يعرّف دوبريه نفسه، بالميل إلى «الفعل».

وأن التزامه المبكر بالعمل السياسي، كان بسبب نوع من «اللقاء بين مزاج شخص

والظروف المحيطة فيه". وكان قد بدأ نشاطاته بمشاركة في مظاهرات تأييداً لشوار جبهة التحرير الجزائرية. ثم أمضى سنوات في أميركا اللاتينية. ولم يكن التزاماً واعياً، حسب تعبير له. ولهذا يري عمله السياسي نوعاً من التدريب، وليس في الالتزام.

ومن الأفكار التي يؤكّد عليها دوبريه، بأشكال مختلفة، قوله إن المجتمعات بحاجة إلى أفكار متسامية، تؤمن قدراً كبيراً من التلاحم بالنسبة للمجموعات المعنية بها. وهكذا مثلاً، يعيد الأزمة التي تعاني منها أوروبا إلى «المدية» السائدة، وإلى اللامبالاة العامة.

في عام ١٩٩٣ دافع دوبريه عن أطروحة لنيل الدكتوراه، تحت عنوان «حياة الصورة وموتها». تاريخ النظرة في الغرب». وشكل ذلك منعطفاً في اهتماماته، إذ نحا حول تحليل تأثير وسائل الإعلام والاتصال على المجتمعات والعصر. وأسس عام ١٩٩٦ مجلة «مؤامرات التأثير الإعلامي - الميديولوجيا» التي ركز فيها على نظرية لـ «البعد التقني والمؤسستي للثقافة، باعتبار أن الإعلام

وسيلة لذلك.

وإذا كان دوبريه قد نشر «النص التأسيسي» لهذا المجال من التأمل الفكري عام ١٩٩١، فإن مفهوم التأثير الإعلامي، دخل قاموس التداول العام، مع صدور كتابه: «السلطة الثقافية في فرنسا» في عام ١٩٩٧.

إن مسألة «التأثير الإعلامي» ودور المثقف في المجتمع، شكلاً أحد مراكز الاهتمام الرئيس لدى دوبريه، منذ مطلع سنوات الستينات في القرن الفائت. ويرى أن العالم يخل في عصر الصورة، التي تنبئ بولادة «عالم جديد».

والمفكر

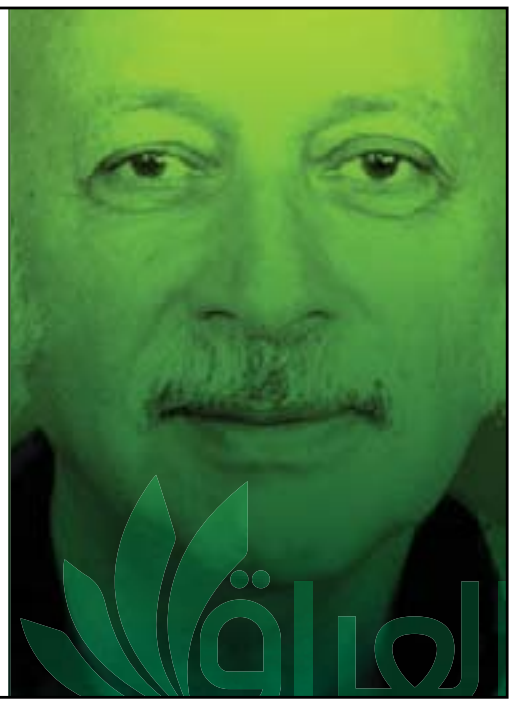
في عام ١٩٩٨، أصبح دوبريه مدير برامج في المعهد الدولي للفلسفة، ورئيساً للمجلس العلمي للمدرسة الوطنية الفرنسية العليا لعلوم الإعلام والمكتبات. ذلك قبل أن يتولى في عام ٢٠٠٢، رئاسة المعهد الأوروبي لعلوم الأديان، والذي كان قد تأسس بمبادرة منه. وهو يؤكّد بأشكال مختلفة، أهمية المرجعيات، مهما كانت طبيعتها، بالنسبة للمجتمعات الإنسانية، باعتبار أنها تولد الثقة المتبادلة بين المعنيين بها. وتشكل ضماناً للنظام الاجتماعي.

وفي عام ٢٠٠٥، أسس دوبريه مجلة «الوسيط، ميديوم». كما أنه انتخب عضواً في أكاديمية غونكور. إن ريجيس دوبريه

هلا - بالكتاب معرض العراق الدولي للكتاب Iraq International Book Fair

دورة مظفر النواب

على ارض معرض بغداد الدولي للفترة من 11 الى 21/12/2019



ريجيس دوبريه... خمسون عاماً على كتاب -ثورة في الثورة-

مَنْ مِنْ أهل اليسار في سبعينيات القرن العشرين لا يتذكر كتاب "ثورة في الثورة" لذلك الشاب الفرنسي اليساري الأنيق ريجيس دوبريه؟ هو واحد من أكثر المثقفين الماركسيين الفرنسيين شهرة -له اليوم أكثر من سبعين كتاباً- خاض تجربة ثورية غنية وحاول أن يُزَوج ما بين النظرية الثورية، والممارسة الثورية، حيث "لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية" وقع تحت تأثير فيدل كاسترو والثورة الكوبية وكتب بحثاً قيماً في كتيب صغير سماه "الكاستروية مسيرة أميركا اللاتينية الطويلة" وكان مُناضلاً فرنسياً وسيماً بلحية شهباء قصيرة يتشبه بذلك الأرجنتيني الناري تشي جيفارا-على كل حال إن التشبُّه بالكرام حميدٌ- وهو ما يزال في السادسة والعشرين من عمره.



عبدالرزاق دحنون

الثورات التكنولوجية فقط، وليس السياسية، في رأي دوبريه، تشذ عن هذه القاعدة، لأن لا عودة فيها البتة إلى الوراء. لن نعود إلى الشمعة بعد أن اخترعنا الكهرباء، ولا إلى السفن الشراعية بعد أن ابتكرنا المحركات. الإنترنت غير وجه العالم. هنا تقبع محركات التاريخ الحقيقية الضامنة الوحيدة لتقدم لا رجعة فيه إلى الوراء، سواء كان جيداً أو سيئاً.

الثورات الأكثر تأثيراً في التاريخ هي تلك التي لم يحررها، أو يعلنها، أو يبرمجها إنسان، هي تلك التي لا قائد لها ولا علم، والتي تقدمت حثيثاً من دون ضجة خلصة على أصابع أرجلها، وفي سرية، أي من دون كشف هويتها-مع أن الأقماع الصناعية كشفت لنا كل مستور- وفي مجتمعات ما بعد الصناعية هناك ساخطون ومضربون ومحتجون، ولكن نادرون جداً ما يتكلمون عن القيام بثورة، كما حدث في ثورة الطلاب الأوروبيين في أيار ١٩٦٨ التي كانت من هذا المنظور، غناء بجع الأمل الثورية. الكلمة السحرية التي حلت محل كلمة ثورة هي كلمة ديمقراطية، فلكل حقبة تاريخية مفرداتها الخاصة. لقد حمل الشاب ريجيس دوبريه فكرة ماركسيا - لينينيا واضحا ونضح على هذا الفكر، وما هو في الثمانين من عمره، ولا نستطيع القول بأنه ابتعد أو ترك أو هجر هذا الفكر الذي بقي حياً -وفي ظني- ما زال يسترشد به حتى اليوم في كتاباته المتنوعة.

حملت إلى السلطة- وهذه مفارقة جديدة- نابليون الثالث، وهو إمبراطوري جداً، وأحمق بالمناسبة. البؤس يقود الشعوب إلى الثورات، والثورات تعيد الشعوب إلى البؤس، هذا ما قاله فكتور هوغو الذي يستشهد به دوبريه. إنها حلقة تراجمية كوميدية مستمرة.

في البداية، قبل أن يتحول لاحقاً إلى منظومة مكابح ثقيلة. هناك في الثورات مناسبات كثيرة للفرح والبهجة، ولكن أيضاً للحزن والعزاء، وعلى المدى الطويل تتحول البهجة إلى مرارة، وأحياناً كثيرة إلى كوابيس. سبق وكتب فكتور هوغو عن ذلك، فالانتفاضة الباريسية الكبرى

صعد جبال أمريكا اللاتينية الوعرة وقابل "دوغلاس برافو" الجامعي الشبوعي المتمرد في أحرش فنزويلا وكتب عن ذلك اللقاء التاريخي. عاش في كوبا سنوات وجسد أطروحته الثورية في منشوره المشهور الصادر عام ١٩٦٦ تحت عنوان "ثورة في الثورة". لحق أرنتسو تشي جيفارا إلى بوليفيا، فوقع أسيراً في شهر نيسان من عام ١٩٦٧ في قبضة الجيش البوليفي النظامي. وصدر بحقه حكم بالإعدام خفف إلى السجن لمدة ثلاثين سنة، وبفضل مفاوضات شاقة وحملة فرنسية دولية لمساندته قادها ابن بلده الفيلسوف جان بول سارتر. وفي المحصلة، أمضى ريجيس دوبريه في السجن مدة أربع سنوات. كتب هناك كتابه "مذكرات برجوازي صغير بين نارين وأربعة جدران".

ترجم كتاب "ثورة في الثورة" إلى العربية في دار الآداب في العقد السابع من القرن العشرين. وكان يومها صرعة ثورية حقيقية تركت تأثيراً مذهلاً على الشباب الثوري في تلك الحقبة من التاريخ. وقد أجاد رسم غلاف الكتاب الرسام المصري المعروف جمال قطب، ومن ثم تبعته مباشرة ترجمة كتاب "دفاعاً عن الثورة" جلسات محاكمة ريجيس دوبريه في بوليفيا. واليوم بعد أن اقترب من الثمانين من عمره يقول ريجيس دوبريه: إن إحدى مفارقات الثورات أنها تؤدي إلى إبطاء سير الأشياء، بعد تسارع كبير

